دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	أفوقاي كاتبا
المصدر:	مجلة آفاق - إتحاد كتاب المغرب - المغرب
المؤلف الرئيسي:	الهرادى، محمد
المجلد/العدد:	ع 2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1991
الصفحات:	169 - 177
رقم MD:	520373
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	ACI, AraBase
مواضيع:	التراجم، الحجري ، أحمد بن قاسم، أفوقاي، الأدب الألأندلسي، كتاب رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب، النقد الأدبي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/520373

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

(أفوقــاي) كاتبــاً

□ تقديم : م.الهرادي



المسمى (أفوقاي و Bejarano) هو أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي مؤلف كتاب «**ناصر الدّين على القوم الكافرين** (1637)» * الذي وضعه كمختصر لكتابه السابق «رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب»، ومترجم كتب منها :

العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع، لإبراهيم غانم.

الرسالة الزكوطية للاسرائيلي إبراهيم السلمنقي.

يقول أحمد رزوق، محقق **ناصر الدين** : «.. وصل المؤلف (...) إلى المغرب أواخر عهد المنصور الذهبي واشتغل لديه بالترجمة، كما قام بنفس المهمة لدى السلطان زيدان، وابنيه عبد الملك والوليد.

وأهم ما يمكن تسجيله في حياته :

ــ سفارته عن السلطان زيدان إلى كل من فرنسا وهولاندا، وهي السفارة التي فصلها في كتابه **ناصر الدين**.

ــ ذهابه الحج عام 1046هـ/1636م وتوقفه بمصر، ومن هناك إلى تونس، وفي هذا البلد الأخير تنقطع أخباره فلا ندري متى توفي ولا أين» ص : 5 ــ 6.

وينبغي أن نذكر أن (أفوقاي) موريسكي تعلم العربية سراً في بلد حوربت فيه العربية وكل تصرف يفهم منه أنه عربي. فاللغة التي كتب بها هذا النص هي مزيج من عربية وعامية ومن صيغ مترجمة،

وهو نهج «يوجد في أغلب المخطوطات الموريسكية الألخميادية»، ولذلك فإن القراءة المستأنسة بالمنهج التاريخي غير كافية للكشف عن تطور لغة السرد العربي، ولإعادة الاعتبار لعناصر التخيل التي تتضمنها مثل هذه النصوص.

أقترح، من مبدأ تجاوز القراءة التاريخية، اعتبار (أفوقاي) كاتباً مجايلا لاهتماماتنا، أنتج نصوصاً سردية قابلة لتشكيل «ذاكرة» مستقبل الكتابة عندنا، ولذلك ننشر هذه «القصص» التي اقتطعناها من **ناصر الدين** متوهمين ــ ونحن نضع لها العناوين المناسبة ــ أن ما يفصلنا عن زمن الكتابة هو تلك المتعة الشاردة التي تستحق بذل جهد لالتقاطها.

★ أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي (أفوقاي) ــ ناصر الدين على القوم الكافرين ــ مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب تحقيق محمد رزوق ــ منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية (1) ــ الدار البيضاء ــ 1987، 167 ص.

شيء من التغيير (*)

اعلم ـــ رحمك الله تعالى ـــ أن البلاد التي على حاشية البحر من بلاد الأندلس، وأيضا فيما لهم في بلاد المسلمين، أن النصارى فيها من الحرص والبحث في من يرد عليها من الغربا شيئا كثيرا. كل ذلك لئلا يذهب أحد أو يجوز عليهم إلى بلاد المسلمين، وهمني الأمر كثيراً في كيفية الخروج من بينهم، وركبت البحر في بلد يسمى شنت مريا [1]، وكان لي صاحب من بلدي من أهل الخير والدين ومشى معي مهاجرا إلى الله وبلاد الاسلام وسبل نفسه وأهل القارب لا يشكون فينا بأننا منهم، فقطعنا البحر في يومين ونزلنا في بلد يسمى بالبريجة [2] وهو للنصارى وليس بينه وبين مدينة مراكش الا نحو الثلاثة أيام للماشي المتوسط، وتعجب من المنع الذي في بنيان سورها، هو أساسه على حجر صلد، وسقفه ثلاثة عشر ذراعا ولا يبالي بكور المدافع من اتقانه وغلظه، حتى شاهدت ثلاثة من الفرسان بخيلهم يدفعون خيلهم جملة على السور ولا يخافون الوقوع منه، ولما أن دخلنا سألنا القبطان : ما سبب قدومكم ؟ قلت له : وقع لنا شيء من التغيير مع أناس ببلاد الأندلس وجئنا إلى حرمتكم، قال : مرحبا بكم، قلت أحب منك أن تأذن لنا في رجوعنا إلى بلادنا مهما أردنا، قال : أذنت لكما ونزلنا عندهم واشتريت حصانا من أحسن الخيل، وصرت من فرسانهم، وكنت أحب اشتري آخُرْ لصاحبي ولم يتيسر. وتلك البريجة في ركن من الأرض والبحر داير بها من الجانبين، ولا يخرج أحد من البلد حتى تتقدم الفرسان، ويقتسمون، ويجوزون من البحر إلى البحر من الجانب الآخر البساتين مع البريجة، وليس لا حد من النصارى أن يجوز الحد الذي تكون فيه الفرسان بحساب النوبة للحرس ولما رأيت ذلك قلنا نخرج من البريجة ونجلس بين البساتين ونستخفي فيه إلى الليل، ونذهب إلى مدينة أزمور ـــ هي للمسلمين ـــ على ثلاثة فراسخ من البريجة، وقلت لصاحبي إذا قدر الله علينا أن النصارى يتصلون بنا فواحد منا يستعمل نفسه أن الجن أصرعه ويخرج من فمه بحديد شيئاً من الدم لعلنا ننجو ـــ ان شاء الله ـــ بذلك الكيد.

فخرجنا إلى بين البساتين واختفينا هناك ثم ان صاحبي مشى إلى بستان قريب من الموضع الذي كنا فيه وبقى هناك إلى قبل غروب الشمس بقليل، وأنا في أشد تغيير، والفرسان تأتي إلى البلد، ثم جاء صاحبي، قلت له : ما السبب حتى قعدت إلى هذه الساعة ؟ قال : كنت أتكلم مع صاحب بستان حتى عزم على الخروج منه، جئت من عنده، فبينما كنت بالغيظ أدبر كيف العمل إذ سمعت البواب يَزْمُورُ مِزْمَاراً له ينادي الناس قبل سد الباب، فاشتغلت اقرا سورة (يس) و (الزمر) في زيادة. قلت لصاحبي : هذا الزَّمْرُ هو علينا، قال لي : اعمل حيلة الاصراع، لان الناس جاءت إلينا قلت له : لا أعمل ذلك مما كان عندي من الغيظ والتغيير عليه، قال : أنا أعمل، قلت : أفعل وأنا أتكلم عليك معهم. فأخرج شيئا من الدم، ورمى بنفسه في الأرض، فخرجت إلى جهت الرجال وأنا أشير إليهم أن يأتوا إلي، فلما وصلوا قالوا : ما السبب في جلوسكم إلى هذه الساعة والبواب ينادي عليكم، أما

*. العنوان الأصلي للباب الثاني : في قدومنا إلى بلاد المسلمين وما اتفق لنا عند خروجنا من النصارى.

1. يقصد ميناء Santa Maria

2. يقصد الجديدة، وكانت آنذاك تحت حكم البرتغاليين.

تخاف من المسلمين أن يأخذوكم أسارى ؟ قلت في نفسي : ما نفتش الا هم، قلت لهم : بعثت صاحبي يشتري خيارا، ولما تعطل جئت في طلبه حتى وجدته في هذه الحالة، ما استطعت حمله وحدي لأنه يضطرب في الأرض، فوصلوا إلى ناحيته ورأوه بالدم في وجهه وعنقه وهو يضطرب بيديه، قالوا : هذا يموت. وكان من الذين جاءوا صاحب البستان الذي كان معه صاحبي في الكلام، ووصل الخبر للقبطان بأمرنا، وظنوا وقالوا : اننا هاربون إلى المسلمين، وأمر أن ينظروا هل الحصان في الدار ؟ قالوا : هو فيه وحوائجهم أيضا، قال : لو كان يهربان لم يتركا الحصان، وهذا أمر نزل بهما، والتمت جميع الناس بحضرة القبطان، والرجال الذين كانوا عندنا قالوا : ان هذا يموت، واتفقوا أن يمشي واحد منهم ينادي القسيس ليثبته ويستقرره من الذنوب ليمشي مغفورا منه إلى الجنة، فمشى واحد وأعلم القبطان بالأمر، فجاء القسيس وهو على بعد منه يثبته، قلت للقسيس : أظن أنه مصروع من الجن فاقرا عليه أول ما ذكر يوحنا في الانجيل ليذهب عنه الجن، فقرأ عليه من الانجيل، وذهب الجن والشيطان، وظهرت للقراءة البركة والبرهان، وشهرت هنالك ولاية القسيس، وضحك منه الجن مع ابليس، وبرا المريض في الحين، واخذه اثنان منهم كل واحد من تحت ابطه، وصار يمشي معهم حتى صعد على حايط نار وهما معه، فأطرح نفسه على واحد منهما عند هبوطه منه حتى كاد أن يوقعه.

ودخلنا البلد وجميع الناس مع القبطان وحكو له كل ما طرأ، وأن المريض بعد أن كان يموت برا ببركة ما قرا عليه القسيس، ومشينا إلى الدار وجاء من أكابرهم ينصحونني أن لا نتركه يركب الحصان، ولا يطلع على السور لئلا يصرعه الجن، ثم جاء الطبيب وكانت له صنايع غير الطب كثيرة، فكان يصقل السكاكين، ويركب الرماح، وأظنه يحلق، وبيطار الخيل، فقال الحكيم : ما هذا الذي أصابه فحكينا له، وبقي متحيرا ماذا يأمرنا به من العمل للعليل، فقال : اجعل عليه حوايج لعله يعرق، فشكرته على حكمته ووضعنا الحوايج عليه، فلما أن ذهبوا جميعا ولم يسمع المريض أحد أخرج راسه من تحت الحوائج وقال : كيف حالنا يا سيدي ؟ قلت له : غط رأسك ما عندنا الا الخير — ان شاء الله —، وذهب النوم عنا في الليلة كلها ويوم أُخُرْ تبين لنا أن الله تعالى لطف بنا، وبقي المريض سالما ونحن ندبر كيف العمل لنقضي الغرض حتى نخرج من بين الكفار. قلنا : لو كان واحد منا وحده كان يمكن الهروب والخروج بأن يخفي ويهرب والحال الاثنين صعب، وكانت سفينة عازمة على الرجوع إلى بلاد الأندلس، قلنا نرمي القرعة من يرجع منا في السفينة، فرميناها وجات في، وكانت الناس تتكلم بنا تقول : اني كنا نريد الهروب إلى بلاد المسلمين. فمشيت إلى القبطان وقلت له : أحب أرجع إلى بلاد الأندلس في هذه السفينة، وإذا استغرضت شيئا من تلك البلاد فاعطني زماما به ابعثه اليك، قال : وصاحبك يمشي معك : قلت له : أراد القعود هنا وأنت ترد بالك عليه، لانه غريب. فخرجت عشية وأوجدت ما يحتاج من الطعام في السفر، فوجدت بقرب باب قاربا صغيرا، فقال : أركب، فاعطيته الطعام والحوايج وقلت له : إذا خرج التاجر الذي كان يمشي من البريجة نركب القارب الصغير ليبلغنا إلى السفينة الكبيرة، فجلسنا هنالك ندعو الله تعالى أن يتعطل التاجر حتى ينسد الباب، ثم قالوا لصاحبي :ادخل عند سد الباب، قلت لهم : دعوه معي حتى يخرج التاجر، قالوا : نعم، يقعد، فأظلم الليل إلى أن صلينا العشاء الآخرة، ثم دعونا الله ان يرشدنا ويسترنا من أعدئنا. قلنا هذا وقت الخير فنذهب — ان شاء الله إلى أزمور، قلت لصاحبي : ما ظهر لك أن نصنع في ذهابنا، قال كيف ما ظهر لك، قلت له : يا صاحبي، الطريق القريب هو من هنا إلى

أزمور، قلت : ومن الممكن أنا إذا شرعنا في الطريق ربما يخرج التاجر الذي هو يمشي في السفينة، وإذا طلبوا علينا لم يجدونا، ويتبعونا كما هي من عادتهم ويدركوننا بالخيل، قال : كيف العمل ؟ قلت : هذا طريق أزمور هو هذا الشمالي على حاشية البحر، قال نعم، قلت : نمشوا على حاشية البحر اليمنى إلى غد ـــ ان شاء الله تعالى ـــ نمشو إلى أزمور على بركة الله، فمشينا، وبعد ساعة أو أقل سمعنا مكحلة لعلي نفيق من النوم ان كنا نائمين، فمشينا الليل كله في بلاد الأسد إلى انشقاق الفجر أخلوا المدفع الكبير وهي علامة عندهم إذا ادخلوا ذلك أنه لا يتخلف أحد عن الخروج من البلاد. وعلمنا أنهم ما خرجوا الا في طلبنا، فاتفق أن ندخلا في وسط شجرة كبيرة ونجلس هنالك إلى الليل وكنا نسمع حس البارود الكثير ثم يئسوا منا وولوا خائبين، وسبب رجوعهم أن قائد أزمور لما سمع حس المدفع الكبير عند الصبح علم أن أحدا من النصارى هرب من عندهم فأمر في الحين الفكاك أن يمشي إلى البريجة ليتكلم مع القبطان في شأن أسير كان عنده، ويأتي بالخبر، فلما مشى التقى بالنصارى في الفحص. وسأله ترجمان القبطان عن نصرانيين هل رآهما ؟ قال له : نعم هما عندنا من الصبح. فلما بلغ الخبر للقبطان وهو مع جنده، فكان يقبض بيده شعر لحيته، وينتفها ويرمى في الأرض، والفكاك قال لهم ذلك ليبأسوا ويرجعوا فقنطوا، وولوا خائبين. ونحن جلسنا بين الأشجار إلى الليل وكان الحر الشديد، ونحن بالعطش سائرين فوجدنا عينا من ماء عذب فشربنا، وبتنا إلى الصبح، وكنا سرنا في الليل كثيرا قبل وجود الماء. وبعد ذلك بزمن التقينا بمراكش برجل من أولاد الولي سيدي علي بن أبي القاسم [3]، وسألنا عن حالنا وهروبنا من البريجة إلى جهة طيط ـــ هو بلد خال كان للمسلمين ـــ وذكرنا له عين الماء الذي وجدناه في الليل، فقال للناس الحاضرين : تلك البلاد نعرفها كلها وليس فيها ماء على وجه الأرض الا في الآبار الغارقة. وبعد أن تنعمنا بالماء وصلينا الصبح مشينا في طلب أزمور وبسبب الصحب لم نر الشمس حتى كانت في وسط السماء، ثم سرنا نطلب على الما ونجد آبار غارقة يابسة، ثم استظلينا بشجرة كبيرة بعد العصر، وسمعنا حس البحر، ولينا إليه لعلنا نجد ماء فلم نجد شيئا في حاشية البحر للشرب. ثم مشينا على طريق وكنت أظن أنه ماشي إلى أزمور. فبعد نصف الليل بلغنا إلى بساتين البريجة، ثم جزنا وتركناها من ورائنا، وسرنا من البريجة، ثم صعدنا على جبل ورأينا المسلمين يحصدون الزرع ولما قربنا منهم جاءوا إلينا بأسلحتهم وخيلهم، فلما وصلوا إلينا قلنا لهم : نحن مسلمون، فامسكوا عن الحرب، وفرحوا بنا فرحا عظيما، وأعطونا الخبز والطعام الذي لم نره من يوم الجمعة قبل الزوال إلى يوم الاثنين عند الضحى. ثم بلغنا إلى أزمور فأقبل علينا قائدها وبحثنا كثيرا في أمور دين المسلمين، وقال لي : اتكتب بالعربية في هذه الورقة ؟ قلت له : ما أكتب ؟ قال : الذي تحب، فكتب ما الهمني الله تعالى، وشكرته على قضاء الحاجة وخلاصنا من الكفار، ودعوت بالخير للقائد محمد بن ابراهيم السفياني على ما أحسن إلينا، وقبض الورقة، وأظن أنه بعثها للسلطان مولاي أحمد ـــ رحمه الله ـــ، وكتب له وأمره أن يمشي بحضرته في عيد الأضحى، وأن يحملنا معه، فلما أن بلغنا في دكالة إلى سوق كبير أمر القائد بخديمه أن يركب معي إلى السوق، فلما أن دخلنا فيه جاء المسلمون يسألون الخديم عني، قال لهم، هو مسلم، فجاءوني من كل جانب وهم يقولون لي : شهد ! شهد ! وأنا ساكت حتى ألحوا علي وكثروا في ذلك، قلت اشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. قالوا : والله أنه

3. انظر ترجمته عند م. بن عسكر. **دوحة**، 101 ـــ 102

قالها خير منا، ثم مشوا وأتوني بتمر وغير ذلك مما كانوا يبيعونه وفضة دراهم. قلت لهم : لا أطلب منكم شيئا من ذلك، فلما ولينا عند القايد قال لي : ما ظهر لك ؟ قلت : الحمد الله إذ لم نرعدوا في هذه الناس، لان في بلاد النصارى لم نر فيها في الأسواق الا أعداء لنا يمنعونا من الشهادتين جهرا، والمسلمون يحرضونني عليها وفرحوا جميعا حين سمعوا مني ذلك. وقد شبهت ما أصابنا من خوف النصارى وما رأينا من التعب في الطريق إلى أهوال يوم القيامة، ووصولنا إلى المسلمين للدخول في الجنة ــ نسأل الله العظيم أن لا يحرمنا منها وجميع المسلمين أجمعين ببركة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم ــ.

صرت تلميذا لها(*)

ولما رأيت ما أظهر من النصيحة الينا قايد الطابع، مشينا إلى بلده، ولما وصلنا إلى داره وكانت خارجا عن بلد على قرب نهر، وهي مانعة كبيرة، مبنية بالحجر المنجور، وفيها بعض المدافع وبقربها بستان كبير وغابات، وبلاد واسعة للزرع، كل ذلك للقائد المذكور. وأقبلت علينا زوجته وخدامها من البنات والرجال. وكانت في تلك الدار بنت من قرابته ذات مال عظيم مما ترك لها والديها، وهي من أربع وعشرين سنة، ولها من الحسن والجمال كثير، وطلبها للزواج كثير من أكابر أهل بلادهم، ولم ترض بأحد منهم. وقدموا لي مع أصحابي طعاما، فلم نأكل منه. قلت لهم : هذا ممنوع في ديننا. ثم اعطوني ما ذكرنا لهم. ثم جاءت البنت، وقالت لي أن أصف لها حال النسا التي هن غاية الحسن والملاحة عندنا، وذكرت لها ما تيسر. قالت : أنتم على حق وذلك أنها كانت بيضاء بشيء من الحمرة، وشعرها أسود، وشعر الحواجب، وأشفار العين، وكحل العين في غاية. المرأة عند الفرنج على هذه الحالة مهمولة عندهم في الحسن ويقولون أنها سودا. وقد كنت أذكر لأصحابي بعض الحكايات فيما وقع للرجال الصلحاء الواقفين على الحدود، لتقويهم على نفوسهم ونفسي على دعاوي النفس والشيطان في شأن المحرمات، لأن بسبب الحريم المكشوف كان الشيطان يوسوسنا كثيرا وكنا صابرين، وكانت البنت تزين نفسها وتسألني : هل في بلادنا من يلبس لباسات الحرير مثلها ؟ ثم قالت : لي : أعلمك تقرأ بالفرنج. وصرت تلميذا لها، وأخذت في اكرام أصحابي. كثرت المحبة بيننا حتى ابتليت بمحبتها بلية عظيمة، وقلت : قبل ذلك كنت في خصام مع النصارى على المال، وفي الجهاد على الدين، والآن هو الخصام مع النفس والشيطان فالنفس تطلب قضا الغرض، والشيطان يعينها، والروح ينهي عن الحرام، والعقل يحكم بينهما، ومن الناس من يعبر بالقلب عن الروح. فالنفس تستعين بالشيطان لانه من طبعها، وهو طبع النار : الحرارة واليبوسة، ولا يوسوسان الانسان أن يعمل الا ما يكون من أعمال أهل النار، والروح تستعين بالله تعالى. وقد قال ابليس ــ عند استنفاره عن السجود سيدنا آدام ــ عليه السلام ــ : خلقني من نار. وحيث هي النفس والشيطان من طبع

*. العنوان الأصلي للباب الثامن : في قدومنا إلى أُولُونَهْ، ثم إلى مدينة بُرْضِيُوشْ.

النار فهما يتبعان الانسان ليذهب إليه معهما. ولما علم الشيطان أن ليس له قوة على الانسان الا ليوسوسه فقط، وأن الوسوس يرده الانسان تارة بلا تعب، وتارة يحتاج الدعا إلى الله تعالى، وكنت أخرج إلى بين الأشجار، وأدعو الله تعالى أن يثبتني، فمشى ابليس إلى صاحبي وكان أكبرهم سنا من أصحابي، ووسوسه، واتفق معه أن يكلمني في شأن البنت، وكنت أخفي ما أصابني من الهم — بسبب البنت — من أصحابي، لئلا يظهر لهم ضعف مني، إذ كنت أقويهم أن يغلبوا نفوسهم عن النسا المحرمات. والميل لهن. فجاءني على وجه السر والنصح، وقال لي : يا سيدي، أصابني تغيير بسبب الناقصة التي رأيتها منك، قلت له : اذكر لي ما رأيت مني لعلك تنفعني، قال : هذه البنت ما يخفى حالها وهي تعمل الخير الكثير معنا بسبب محبتها إليك إذ هي ظاهرة ليست بخافية وأنت تعرف العادة الجارية في هذه البلاد أن الرجل يمد للبنات ويلعبها، وليس بعيب عند أحد من هذا الناس، وهي تقف أمامك مرارا قريبا منك تنتظر أن تلاعبها، وأنت لا تفرحها، ولا تشرحها. قلت في نفسي : هذا أقوى من الشيطان. قلت : يا صاحبي هذا عندنا في ديننا أمر بالمنع من ذلك. والنص هو : والتكف عن مالا يحل لك من مال أو جسد. وهذا جسد ليس بحلال لي، قال : لا أقول لك الا أن تلعبها فقط، قلت له : قال صاحب البردة :

فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها إن الطعام يقوي شهوة النهم[1]

قال : ما معنى هذا ؟ قلت : الذي يفهم من المعنى حسبما سمعت. لا تحسب أنك إذا أعطيت للنفس القليل مما تشتهي من الحرام، إنها تقنع بذلك، بل تزداد شهوتها، وتتقوى عليك وتغلبك حتى تفعل من الحرام أكثر مما قصدت. ومثال ذلك أن الانسان إذا كان صيما فهو صابر علىٍ الطعام حتى يبتدي بالماكول، تتقوى شهوته عليه، أن يأكل حتى يشبع، والأحسن والأفضل مخالفة النفس والشيطان وأن يعصهما. فلا نفع مع صاحبي من كل ما قلت له شيئا، لأنه جاء من ورائي والبنت واقفة تتكلم معي، وأَدْحَاني[2] إليها، وحين ذهبت خاصمته على حمقه، وسألتني : هل عندي امرأة في بلادي ؟ قلت لها : عندي، ثم قالت : وتتزوجون أكثر من امرأة ؟ قلت لها : جائز ذلك في ديننا، ثم قالت : هل عندك أولاد ؟ قلت لها عندي، وقلت في نفسي : حين علمت ذلك تنقص المحبة، فلم تنقص شيئا، ورأيتها يوما زينت نفسها وكانت ترعاني، وليس لي خبر بما اضمرت، وسرت إلى الجنان. والبساتين بتلك البلاد مالها حيطان لِلتَّحْوِيطِ، بل يحفرون خندقا دايرا بالبستان، غريقا لمنع الناس من الدخول إليه الا من الباب. وسمعتها تنادي، فجئت من داخل الجنان إلى حاشية الخندق، وهي واقفة على الحاشية من الجهة الأخرى، وطريق صغير هابط إلى قعر الحفرة وطالع إلى الجنان. والخندق الكل عامر بالاشجار البرية حتى لا يظهر قعره إلا في بعض الموضع. فتكلمنا هنالك، وفهمت من حالها مالا يخفى وتكلم بعض أصحابي في الجنان وقرب من جهتي، وذهبت، وفكني الله بفضله، واحسانه، وحمايته، وتوفيقه الجميل. واستغفر الله من الكلام الذي صدر مني الينا والنظر. إنه غفور رحيم.

---

1. البردة، البيت 18.
2. ادحاني إليها : دفعني إليها، والكلمة مستعملة في العامية المغربية.

ومما اتفق لي ببلاد الفرنج بعد أن جازت علينا السنين، ونحن فيها، اني كنت اسمع حسا في البيت الذي أكون فيه وحدي في اليقظة، يضرب في الحايط شيئا أو قريبا مني في لوح غير ذلك، وبين الضربة والأخرى قدر ما يعد الانسان ثلاثة من واحد إلى أربعة. ودخل في قلبي الخوف والرعب من ذلك حتى خفت من الجن ان يصرعني. واشتغلت نذكر الله تعالى بلا فترة، لعلي نتقوى بذلك، وننجوا من الجن. وكان ذلك كل يوم، ويضرب في البيت وفي غيره، وإذا أكون وحدي، ونغضب عليه، ونضرب جهته، يزيد في الضرب.

ورأيت ان الصبر أو لابي، ولا كنت أدري ماذا كان مراده. ثم فهمت إنه كان يريد أن اخرج من بلاد الكفار.

وبعد أن وليت إلى بلاد المسلمين كان أيضا يعمل لي حسا يلهمني إلى الصلاة إذا نتعطل عنها، وأيضا بعض الليال عند السحر يضرب في البيت إلى أن أقوم، أو نقرأ في الفراش.

وكنت متحيرا في امره، قلت هذا جن مومن، ولا استعملت قط عزايم لنتخذ خديما من الجن، ثم بان منه إذا أكون وحدي نقرأ **القرءان** العزيز، وتأتيني سنة من النوم حتى يلتوي لساني بالقراءة، فيضرب لي في البيت لنقف ونقرأ. ثم إذا جاني النوم يضرب أيضا حتى تختم القراءة. وبعض الليالي بالسحر لا يهدي عن الضرب إلى أن أقوم وتارة إذا كان أحد معي في الفراش يطلق علي شيئا قليلا من التراب أو حجارة صغارا قدر الحمص، ويضرب به قريبا من وجهي. ونأخذ الحجرة بعض المرات بيدي، ونعرف انه ليس مراده إلا أن أقوم نقرأ فقط. وإذا في البيت الذي بنيت فيه نجاسه خاثرة، فيضرب ويعود للضرب حتى نخرجها. وتارة نستعمل من نفسي ان النعاس جاني ونظهر ذلك بالقراءة وهو ليس بالقرب مني لعله يضرب فلا يضرب أبدا عن ابتداء النوم حقيقة. ثم تحققت منه إنه يحفظ القرآن، فكم مرة أكون أقرأ، ويضرب، وننظر ماذا أقرأ، ونرى انه وقع مني غلط في القراءة. وكنت يوما بمدينة مراكش جالسا اترجم رسالة باللطين تتكلم على الكورة الأرضية والفلكية، والكرتان كبيرتان، كل واحد في كرسي مرسوم في السماوية النجوم والثواب والبروج في الفلك، والصورة المعروفة عند المنجمين بأسمائها، وكذلك في الأرضية، كل مدينة معروفة في الدنيا، والأقطار والبلدان والأقاليم. وكل بلد باسمه، مكتوب عليه، والابحر والأنهار.

كان قد أمرني السلطان مولاي زيدان ـــ رحمه الله ـــ بترجمة ذلك الرسالة [1]، قلت هي بلغت اللطين، ولا نعرفها. قال من يعرف اللطين ؟ قلت : اسير راهب من اسارى المقام العلي، قال : يقعد معك. وكنا في دار السلطان نترجم ذلك، والراهب معي. وقت للظهر، وتعطلت لنتم بالكتابة ما بقي من وجه ورقة، وسمعت الضرب في ورا لوح من خشب، قال الراهب : ما هذا الضرب ؟ قلت لا أدري، وقام من موضعه ومشى إلى ظهر اللوح الذي كان الضرب فيه، ولا رأى شيئا، وبقى متعجبا.

1. يقصد رسالة زيح زكوط للاسرائلي ابراهيم السلمنقي. وقد ترجمها بالفعل الشهاب الحجري إلى العربية. مخطوط م. ح. بالرباط عدد 1433 ضمن مجموع.

وعلمت أن الضرب كان يقول لي ان اترك كل شيء واصلي الظهر. وكان ابتداء هذا الأمر قبل هذا التاريخ بنحو الخمس وعشرين سنة. ونعرف انه معي اين ما أكون، ولا نراه، ولا يجاوبني بأمره. وقد طلبتها منه ولا ظهر لي منه انتقال الا يرعى ما نقول أو ما نعمل، حتى اظن انه الملك الذي على اليمنى، وان كان هذا الظن غريب وبعيد، وانا متعجب منه بعد أن عرفت، وتحققت منه انه يحفظ **القرءان**، وتارة اقرأ سورتين أو ما شاء الله، وتترك القراءة ويضرب لي أن أقوم ان تلك ساعة الاجابة للدعاء. وكنت ليلة أريد أن اختم القراءة إلى سورة «الناس»، وكنت اقرأ حزب (صبح)، وتسلط علي النوم ــ وكان ذلك في الزمن الذي كنت مشغولا بتأليف هذا الكتاب ــ، وإذا قرأت سورة أو سورتين أو أكثر يبدؤني النعاس قليلا من غير ترك القراءة، فيضرب حتى نتقوى، ولا ختمت الحزب حتى ضرب نحو الست مرات. ولما ختمت وقف عن الضرب، والشكر لله الذي رزقني من يعينني على عبادته.

حالة سهو

ومما انعم الله تعالى علي بمصر في أول شهر ذي القعدة، صليت يوما الظهر، واتيت بسجدتي لأصل ما زدت في الصلاة، ثم في اليوم بنفسه في صلاة العصر وقع لي مثل ذلك في الصلاة ورفعتها، فأخذني الغيط على نفسي، وقلت : ما كان يقع منك غلط حين تدخلين إلى حضرة السلطان، وهو مخلوق مثلك، وحين تقفين بحضرة الخالق العظيم، ورب السلاطين وخالقهم، تتكلمين بحضرته والملائكة حاضرون، تنتقلين بكلامك إلى كلام في شيء آخر، ثم إلى أمر آخر من الأمور المذمومة بحضرة الله تعالى، المولى الكريم، حتى تقول الملائكة عني أنني من الكاذبين، أو من الحمق أو من المجانين حتى تفسد على صلاتي. ولكن ــ إنشاء الله ــ نشتري سوطا من جلد، ونضربك به على كل صلاة بعد سجدتي السهو، لعلك تخافين من الضرب أكثر مما تخافين من الله تعالى، الذي هو يراك ويسمعك. ولم نتحقق هل قلت لنفسي ذلك الكلام جهرا أم سرا. وفي ذلك اليوم بعد أن صليت المغرب وجلست في البيت الذي كنت فيه فرأيت مع الشفق قبل أن وقدت السراج قضيبا نزل قدامي من الهواء من عود الطَّرْفَهْ على طول ذراع. وقبضته، وفهمت ان ذلك بدل عن السوط، كأن لسان الحال يقول لي لا نوخرك إلى ان تشتري سوطا، خذ هذا واضرب به ينوب عن السوط لعلك تداوي نفسك، وتخافين من ضربك اياها أكثر من خوفها من عذاب الله. ورجعت نضرب نفسي بعد سجدتي السهو على رجلي اليسرى بالقضيب، لأن النفس والشيطان من أهل الشمال. والقضيب إلى الآن عندي، فإذا نظرت إليه يجتمع فكري في الصلاة بعض المرات. وانتفعت به نفعا جيدا. وحصلت إلى فايدة بالبرهان والعيان. ان الله يريد من الانسان قولا باللسان، واخلاصا بالقلب، وعملا بالجوارح. وفهمت من الاية المتقدم ذكرها : وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث»، إنه الأمر بالضرب بالقضيب بعد ترقيع الصلاة على وجه التداوي لنفسي على وجه الاختصاص. ونعود بالله من كل بدعة غير مستحسنة.